الرواية بالعربية في بلاد يوربا نيجيريا بين الترجمة والإبداع

أحمد أبوبكر عبد الله
شعبة الدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الدينية،
الجامعة المفتوحة الوطنية أبوجا - نيجيريا
abuabdullah152011@gmail.com
08032853267/08056678799

مستخلص البحث

الرواية فن أدبي بديع، تهدف إلى تسلية النفس أو استمالتها إلى مبدأ منشود أو صرفها عن تصرف ممقوت أو تلقينها الأخلاق النبيلة عن طريق تعبيرات طيعة ممتعة وبأسلوب كتابي خلاب. ظهرت الرواية في بلاد يوربا، نيجيريا في العقد الأخير من القرن العشرين على أيدي كوكبة من أساتذة اللغة الذين تخرجوا في الجامعات عبر ترجمة الأعمال المحلية إلى اللغة العربية -شأنهاعند العرب- قبل وضعها باللسان العربي المبين. وهذه المقالة تهدف إلى دراسة استقرائية لتاريخ الأدب الروائي في بلاد يوربا نيجيريا بنوعيه المترجم والمبدع، ودراسة موضوعاته وخصائصه الفنية معجلاء ما فيه من أساليب الكلام، ويتمحور موضوع المقالةحول النقاط التالية:

- بلاد يوربا ونشأة الرواية بالعربية فيها
- الأعمال الروائية المترجمة إلى العربية في بلاد يوربا
- الأعمال الروائية المكتوبة باللغة العربية في بلاد يوربا
- موضوعات الروايات
- خصائص الروايات
- التوصيات والاقتراحات ثم الخاتمة.

بلاد يوربا ونشأة الرواية العربية فيها

تقع بلاد يورباجنوب غربي الجمهورية النيجيرية الاتحادية. يحدها شمالا نهر النيجر وبلاد النوفي، وجنوبا خليج غينيا، وشرقامدينة بينين، وغربا بلاد الداهومي المعروفة اليوم بجمهورية بنين[1].

تُعدقبيلة يوربا من القبائل الرئيسة التي تتكون منها بلاد نيجيريا، إبّان الجمهورية الأولى في نيجيريا يعرف موقعهاالجغرافي بالإقليم الغربي وذلك ما بين عام 1960 و1967م، وبالجنوب الغربي منذ أن تبنت نيجيريا النظام الفيدرالي إلى يومنا هذا. وتحتوي أرض يوربا على ست من الولايات الست والثلاثين التي تتألف منها الجمهورية النيجيرية الفيدرالية حاليا، والولايات هي ولاية أَوْيَوْ، وأَوْشُنْ، وأَوْغُنْ، وأَوْنُدَوْ، وأَيْكِتِي، ولاَغُوسِ بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية والوسطى لولاية كوارا، وكذلك جزء من ولاية كوغي.

يبلغ عدد الناطقين باللغة اليورباوية حوالي 30 مليون نسمة[2]. وتطلق على اللسان الذي يتفاهمون به اليورباوية نسبة إلى مسماهم، كما تطلق العربية على لسان العرب، والإنجليزية على لسان الإنكليز، والفرنسية على لغة الفرنسيين، وهكذا دواليك.

وبما أن الرواية ضرب من السرد القصصي،فالقصة بالعربية بأضرُبها -المسرحية والرواية والأقصوصة والأسطورة- حديثة عهد في الأدب العربي النيجيري بصفة عامة، لأنها من الطفرة الهائلة التي شهدتها النهضة الحديثة في التثقف العربي النيجيري منذ أواخر القرن العشرين وفي العقد الثامن منه على وجه التحديد. يُعد كتاب **القصص الشعبية عن السلحفاة عند اليورباويين -سكان غرب إفريقيا** للبروفيسور إسحاق أَوْغُنْبِيه، أول محاولة لظهور القصة باللغة العربية في بلاد يوربا، وقد نشره عام 1975م. وفي عام 1999م ظهرت كتاب

قصص خط الاستواءلمؤلفه البروفيسور زكريا إدريس -أوبو حسين،وإن كان كتاب **موجز تاريخ نيجيريا** للشيخ آدم عبد الله الإلوري قد سبقهما إلى نشر قصة يورباوية باللغة العربية[3].

وأما القصة الطويلة (الرواية) المكتوبة بالعربية فقد عُرفت في بلاد يوربا عن طريق ترجمة التراث الشعبيوالأجنبي إلى العربية -كما هو الحال في تاريخ الأدب العربي الأصيل-على يد كوكبة من المتخصصين في العربية بين أبناء المنطقة، وفي طليعتهم الأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام الذي نقل رواية "Ireke Onibudo" للروائي اليوربوي دِي. أَوْ. فَاغُنْوَا إلى العربية سنة 1994م بعنوان "قصب المخيم"، يقول في مقدمة الكتاب:

> "دفعني إلى ترجمة (قصب المخيّم) العرض الجميل لوقائع هذه القصة على شاشة التلفزيون الوطني بإلورين وأكُورَى في نيجيريا، وما لاحظت من إقبال شديد على كتاب (القصص الشعبية حول السلحفاة) للدكتور إسحاق أوغنبيه والذي احتوى قصصا فولكلورية قصيرة، وما واجهه كثير من متعلمي اللغة العربية من صعوبات في اقتناء كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين أو في استيعاب أحداثه لفقرهم إلى الخلفية الثقافية لهذا الكتاب، فرأيت أن أثري المكتبة العربية الأفريقية بقصة عربية بخلفية إفريقية يورباوية[4]".

وأما كتابة الرواية أصلا باللغة العربية في هذه المنطقة فلعل رواية **الولد الهارب** التي أصدرها الدكتور عبد البارئ أَدَيْتُنْجِي الإبادني عام 2004م هي أول ما صدر في هذا الصدد.

الأعمال الروائية المترجمة إلى العربية في بلاد يوربا

يمكن تصنيف الرواية المكتوبة بالعربية في بلاد يوربا إلى المترجمة والمؤلفة، والمترجمة أيضا تنقسم إلى الأجنبية والمحلية؛ ويُعنى بالمترجمة الأجنبية الرواية التي تمت ترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى العربية وعلى رأسها "ليلة سمر إفريقية" ترجمة الدكتور أَولَالَيْرَيْ أَدِغُنْ[5] عام 1994م، من أصل إنجليزي بعنوان "An African Night Entertainment" للروائي سِيْبرِيَانْ أَيكوَنْسِي، ثم "الأعشاب الملتهبة" للدكتور مسعود راجي عام 1997م من أصل إنجليزي بعنوان "Burning Grass" للروائي سِيْبرِيَانْ أَيكوَنْسِي نفسه، وهي قصة أسرة فلانية يعاني ربّها من داء "السَّوْكُوغَوْ" المرض الذي يجعل المصاب به يهيم على وجهه؛ وقد تشعث شمل هذه الأسرة جراء هذه البلوى قبل أن تجمعت فيما بعد حين تحسن حال رب الأسرة.

وأما النوع الثاني أي المترجمة المحلية فهي ما ترجمت من اللغة اليورباوية إلى العربية وفي طليعتها رواية "قصب المخيم" ترجمة الأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام عام 1994م من أصل يورباوي بعنوان "Ireke onibudo"لمؤلفها دَنِيالْ أَوْلَوْرُنفَيمِي فَاغُنْوَا، وهذه الرواية تلقن الشجاعة والإقدام ومكارم الأخلاق عن طريق رجل مقدام متفان في المغامرة.

وظهرت بعدها رواية "الصياد الجريء في غابة العفاريت" ترجمة الأستاذ الدكتور مشهود محمود جمبا عام 2002م لرواية يورباوية تحت عنوان "Ogboju Ode Ninu Igbo Irumole" للروائي دِي. أَوْ. فَاغُنْوَا ذاته، فهي تروي عن صياد مقدام عكف حياته على المخاطرة في سبيل تعزيز نفسه ووطنه.

وتبعه رواية "الانتخاب مؤامرة" عام 2007م للبروفيسور عبد الرحيم عيسى الأول من أصل يورباوي تحت عنوان "Ote nibo"، وتدور حول المكيدة والنفاق والكذب والفجور والخيانة التي تتجسد عملية الديموقراطية التي أُسْتُورِدَت إلى نيجيريا من الخارج والتي لا يحسن ممارستها أهل نيجيريا[6].

الأعمال الروائية المكتوبة باللغة العربية في بلاد يوربا

هذا هو النوع الثاني من الروايات العربية لأدباء بلاد يوربا، وهو أكثر نتاجا من النوع الأول، وفي مقدمتها "الولد الهارب" تأليف الدكتور عبد البارئ أَدَيْتُنْجِي عام 2004م، وهي تحكي حياة ولد فظ شارد تعهدته الحكومة بالرعاية والتربية حتى صار رجلا مهنيا مشارا إليه بالبنان في المجتمع. وصدرت رواية "السنة" عام 2006م لمؤلفها الدكتور مرتضى عبد السلام الحقيقي، وهي تسرد عن كاتبها المشقات التي عانى منها في السنة الدراسية الأولى بالجامعة الإسلامية بدولة النيجر.

وبعدها ظهرت "على الطريق" لكاتبها آدم يحيى الفلاني عام 2008م، وهي تصوّر حياة راويها التعليمية في مسقط رأسه مدينة إلورن بنيجيريا، وطرق التدريس التي يتبناها علماء هذه المدينة ووطرق كسب المعيشة عندهم. ومنها رواية "خادم الوطن" التي صدرت عام 2008م على يدي حامد محمود إبراهيم الهجري،وهي تقص تجارب راويها خلال مشاركته في مشروع الخدمة الوطنية التي فرضتها حكومة نيجيريا على كل خريج جامعي.

أتت بعدها رواية "الرحلة" بقلم الدكتور علي عبد القادر العسلي عام 2009م، وهي تسرد الحياة التحصيلية لدى راويها في الجامعة الإسلامية بدولة النيجر وما لقيه من النصب والمشقة قبل تخرجه فيها. وهناك "راعي الغنم"

لكاتبها آدم يحيى الفلاني، صدرت عام 2009م وهي تسرد تاريخ أسرة فلانية استخدمت خادما لرعاية ماشيتها فاختفى بالمواشي فقدر الله -لاحقا- أن ينتقم ابن ربّ الأسرة من ابن الخادم بالقتل.

ومنها كذلك رواية "أهل التكرور" تأليف آدم يحيى الفلاني، وتحتوي على تاريخ أمة عانت على أيدي الأجانب، وحاولوا الخلاص منهم فلم يتمّ ذلك إلا على أيدي أبنائهم. وبعدها ظهرت "السيد الرئيس"لحامد محمود إبراهيم الهجري عام 2010م، وهي رواية سياسية مثالية تحت ظلال الجبابرة. وبعدها "بكري بلوغن" لحمزة مبولاجي سراقة وقد صدرت عام 2011م، وهي تعرض قصة ولد عاق على الأسرة والمجتمع نتيجة الطلاق الذي حدث بين والديه.

صدرت بعد ذلك رواية "نحو سبيل المجد" للدكتور مرتضى الإمام أَكَوْحَيَدَيْ 2012م، وهي أيضا تحكي حياة صاحبها التعليمية في خارج الدولة. أتت بعدها "رحلة الزهراء" للدكتور المرتضى عبد السلام الحقيقي2012م، أورد فيها قصة زواجه من معشوقته، ووفاتها بعد فترة وجيزة من زواجهما. تلتها رواية "أهل القرى" لمؤلفها الدكتور أحمد أبي بكر عبد الله عام 2014م، وهو عمل أدبي يعكس الحياة النيجيرية بكاملها بأسلوب رمزي جذاب[7].

موضوعات الروايات

لكل رواية فنية موضوع خاص تتمحور حوله، والموضوع هو لبّ العمل الروائي إذ هو المهمة أو الرسالة التي تقصد الرواية إلى أدائها في المجتمع. وتتخلص الروايات العربية في بلاد يوربا بنوعيها المترجمة والمبدعة فيما يلي:

أ- الجد والكفاح

تمثل كل من رواية "قصب المخيم" و"الصياد الجريء في غابة العفاريت" المترجمتين من اليورباوية الجد والكفاح والبسالة في المجتمع المثالي، حيث تلقن الأولى الشجاعة والإقدام ومكارم الأخلاق وما إلى ذلك من أوصاف رجل همام مقدام مغامر، حين تصور الثانية المخاطرة من أجل الدفاع عن النفس والمجتمع وتعزيزهما.

ب- تصوير الأوضاع الفاسدة

تقوم بعض هذه الروايات بتصوير الأوضاع الاجتماعية الفاسدة التي يجب التنبه إليها أو الأحوال المقيتة التي ينبغي الحذر منها في المجتمع، ويُرى هذا بجلاء في رواية "الانتخاب مؤامرة" المترجمة، وهي تسرد أحوال السياسيين النيجيريين وسوء استخدامهم للديموقراطية، وكذلك رواية "السيد الرئيس" وهي عمل إبداعي تسرد قصة سياسة مثالية تحت رئيس عادل زاهد في ظل أرستوقراطية مستبدة، وكلما حاول هذا الرئيس تحرير الوطن من الضيم وفتح المجال للحرية والتوجه إلى الرعية بالإحسان كلما خيب رجاؤه وفشلت مساعيه من جهة خصمه الجائرين.

وكذلك رواية "أهل القرى" التي هي أيضا عمل إبداعي يصور سلبيات السياسة النيجيرية.ومن ذلك أيضا عمل إبداعي آخر تحت عنوان "خادم الوطن" الذي وصف به صاحبه المشاكل التي واجهته والأشياء التي شهدها أثناء قيامه بخدمة الوطن عقب تخرجه في الجامعة، مما لم يعهدها من قبل وكان مخالفا لعادة القوم، والعرف الاجتماعي.

جـ- وصف الحياة التعليمية

يتجه معظم الأعمال الروائيةالإبداعية في بلاد يوربا نحو تحقيق هذا الهدف، ومن ذلك روايات "السنة"، و"على الطريق"، و"الرحلة"، و"نحو سبيل المجد"، وكلها أعمال إبداعية خالصة تحكي أيام التحصيل العلمي لدى كتابها وما لقوا خلالها من كبد ونصب قبل أن كلل الله سعيهم بالنجاح، والغرض من ذلك كله تحبيب طلب العلم إلى القراء، والتشجيع على الصبر في سبيل تحصيله،لأن ذلك من أسرار نجاح طالب العلم.

د- ذكر الأيام

تعرضت بعض الروايات لسرد الحوادث الغابرة والأشخاص الذين عاشوا فيها، على نحو ما نجد في رواية "راعي الغنم"، و"أهل التكرور"،و"بَكَرَيْ بَلَوْغُنْ"، وكلها أعمال إبداعية تلفت النظر إلى حياةأمم قد خلت، للاعتبار بنتائجها وعواقب أهلها الوخيمة.

هـ- الإشعار بالواجب

ومن الموضوعات كذلك التنبيه إلى واجباتالمرء في المجتمع، كما نجد في رواية "الولد الهارب"؛ حيث يوجد ولد عاق كسلان، تعهدته الحكومة بالرعاية والتربية فأصبح بذلك رجلا هماما في المجتمع. هذا إيحاء إلى أن ضمان حياة الشباب الأفظاظ في المجتمع واقع على عاتقة الحكومة بأن تتكفلهم بالعناية والتربية كي يصبحوا مواطنين صالحين في المستقبل.

خصائص الروايات

وأما خصائص الروايات باللغة العربية في بلاد يوربا فيمكن تلخيصها فيما يلي:

1-أنها بدأت -كشأنها في العالم العربي- بالترجمة من الأعمال الأجنبية إلى العربية قبل كتابتها أساسا باللغة العربية.
2-أنها بقسميها المترجمة والمبدعة كانت تصاغ منذ ظهورها بعربية فصحى سليمة وبأسلوب أدبي رائع جذاب.
3-أن أفكارها توحي بما ألهم المجتمع رجاله، وما أملته عليهم معتقداته وتقاليده.
4-أن جلّها مرآة تعكس أوضاع المجتمع، مثل "قصب المخيم"، و"الصياد الجريء في غابة العفاريت"، و"الانتخاب مؤامرة"، و"أهل القرى"بعضها تصوّر أوضاع المجتمع التقليدي عن طريق التعليم والتهذيب وتلقين العرف والخصال الحميدة، كما تسرد بعضها شوائب أهله السياسيين للاحتراز منها.

التوصيات والاقتراحات

قبل الانتهاء إلى خاتمة هذه المقالة يرى الباحث تقديم بعض اقتراحات إلى كتاب الرواية بالعربية ببلاد يوربا خصوصا وبلاد نيجيريا عموما، لترقية أعمالهم إلى ذروة الجودة والروعة والفن، والاقتراحات كما يلي:

- عليهم مراجعة مخطوطات أعمالهم مراجعة دقيقة لتنقيحها من الأغلاط الفكرية والتحريرية قبل تبييضها، وعليهم كذلك بتصحيح البروفات الطباعية قبل نشرها حذارا من الأخطاء المطبعية.
- ينبغي توسيع نطاق أعمالهم السردي إلى الدينيات والتسليات والسياسيات، قصدا لإصلاح المجتمع وتعليم الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة وتحبيب الإحسان إلى القُراء.

- أن تتحلى نصوص أعمالهم بالحكمة البالغة ومكارم الأخلاق وحسن الآداب والأعمال الصالحة والنقد الاجتماعي البناء، وتتخلى عن الوقاحة والمجون وفحش القول والنقد الهدام،واغتيال الشخصيات في المجتمع.
- وبما أن العمل الروائي قد يخرج عن إطار مؤلفه الاجتماعي وحدوده وطنه إلى العالم الآخر، ومن ثمّ يجب على الأديب الروائي أن يوسّع قنوات ثقافته ويطوّر كفاءاته العلمية ليتسنى له إصدار رواية فنية على المستوى العالمي.

الخاتمة

قامت السطور القليلة السابقة بإيراد بعض الأعمال الروائية بقسميها المترجمة والمخترعة التي ألفها علماء العربية في بلاد يوربا، وذكرت موضوعاتها وخصائصها، ثم أتت بتوصيات تهدف إلى رفع مستوى الأعمال الروائية في بلاد نيجيريا، وقد استهلت المقالة بنبذة تاريخية عن بلاد يوربا التي هي النطاق المكاني للدراسة مع التلميح إلى تاريخ ظهور العمل الروائي في هذه المنطقة.

وعلى رغم من أن هذا الفن لا يزال طفلا دبيبا في المجتمع اليورباوي، وقد تبوأ مكانة مرموقة في مسرح الأدب العربي في نيجيريا بصفة عامة، وعليه نقترح على أبناء بجدته توسيع أفقه إلى معالجة الشؤون الدينية وقضايا الساعة وغير ذلك مما له شأن كبير في تقويم اعوجاج المجتمع وتوجيه السلوك المنحرف.

الهوامش

1- مصطفى زغلول السنوسي، **أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا**. بيروت: شركة تكنو برس الحديثة، 1407ه/1987م. 15.

2- R. D. Abubakre, *The Interplay of Arabic and Yoruba Culture in South-Western Nigeria*. Iwo: Daru'l-'Ilm Publishers, 2004.

3- نشرها في الكتاب عام 1965م بين صفحة 30-31.

4- أحمد شيخو عبد السلام، **قصب المخيم**. إجبو أودي: مطبعة شيباوتما، 1414هـ/1994م.ص و.

5- توفي هذا المترجم عام 1998م، ولعل هذا العمل بحث أكاديمي للحصول على الدرجة العلمية، وأغلب الظن أنه لم ير نور الطباعة قبل وفاة صاحبه.

6- عبد الرحيم عيسى الأول، **الانتخاب مؤامرة**. لغوس: رزوم أينتبرايسس كومبني، 2009م. صvi.

7- أحمد أبوبكر عبد الله، **أهل القرى**. إلورن: المعهد العبدلي للثقافات العربية الإسلامية. 2014م. ص د.